

الفصل الثامن

١. المَنّ، والسُّلوى، والماء.

٢. الوصايا العَشر.

٣. المَحكمة.

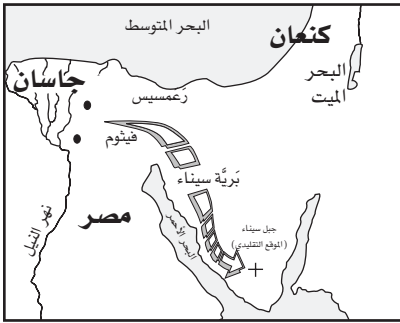
١. المَن، والسَّلوى، والماء

ما من شك أن بني إسرائيل كانوا في حالة من الفوضى حينما انطلقوا في رحلتهم الطويلة. فقد حنَّهم المصريون على الرحيل بسرعة فحزموا أمتعتهم بسرعة، ولم يأخذوا معهم سوى الأشياء الضرورية، وانطلقوا في جماعات كبيرة يسوقون مواشيهم أمامهم. وإن أضفنا إلى ذلك أن عددهم كان كبيراً جداً (نحو ٢,٥ مليون شخص)، فمن المؤكد أن الفوضى كانت كبيرة! كان موسى هو القائد، لكن كيف يمكنه أن يصرخ قائلاً لهذه الجموع «من هنا يا رفاق؟» فقد كان من المستحيل أن ترى النبي موسى من بين هذه الجموع الغفيرة. لكن الله القدير حلَّ هذه المشكلة بحكمته الإلهية:

وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلًا فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ، لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلًا
(خروج ١٣: ٢١)

وهكذا، تمكَّن الجميع من تنظيم أنفسهم في الحال عن طريق إرشاد الله لهم. فكل ما كان عليهم أن يفعلوه أثناء سيرهم في النهار هو أن يتبعوا عمود السحاب الخاص ويتقوا بأن الله سيرشدهم. وحتى أنه كان بإمكانهم أن يرتحلوا في الليل بفضل عمود النار الذي كان يُنير لهم الطريق، وبهاتين الطريقتين، عمل الله على تنظيم هذا العدد الهائل من بني إسرائيل! كانت قبائل الصحراء تقطن المنطقة المحيطة بالطريق القصير الذي يصل مباشرة بين مصر وأرض كنعان. وكانت غالبية هذه القبائل قوية وقادرة على القتال والدفاع عن نفسها. ولا يمكن لأحد أن يلوم تلك القبائل إن قامت بالاستعداد للحرب إذا علمت أن نحو ٢,٥ مليون شخص يتوجهون نحوهم. لكن هذا لم يحدث:

وَكَانَ مَا أَطْلَقَ فِرْعَوْنُ الشَّعْبَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَهْدِهِمْ فِي طَرِيقِ أَرْضِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ مَعَ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ، لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: «لَيْتَلا يَتَذَمَّرُ الشَّعْبُ إِذَا رَأَوْهُ حَرَبًا وَيَرْجِعُوا إِلَى مِصْرَ». فَأَدَارَ اللَّهُ الشَّعْبَ فِي طَرِيقِ بَرِّيَّةِ بَحْرٍ سَوْفٍ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ... (خروج ١٣: ١٧، ١٨)



أرشد الله بني إسرائيل وقادهم عبر طريق صحراوي إلى أن وصلوا إلى البحر الأحمر. وهناك حدثت معجزة شق البحر الأحمر^١ حيث أنقذهم الرب من أيدي جيوش فرعون التي لحقت

بهم ثانية. وفي الجانب الآخر من البحر الأحمر، وجد العبرانيون أنفسهم في أرض قاحلة خالية من الأعداء والطعام والماء! لهذا، فقد راحوا يتذمرون بشدة.

فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ. وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: «لَيْتَنَا مِتْنَا يَدَ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبْعِ. فَإِن كُنَّا أخرجتمنا إلى هذا القفر لكي تميتنا كل هذا الجمهور بالجوع»
(خروج ١٦: ٢٠، ٢١)

وهكذا، بدأ بنو إسرائيل يتذمرون ويعبرون عن رغبتهم في العودة إلى العبودية في مصر.

وكان موقفهم هذا من تدبير الله مُحزناً حقاً لأنَّ الله كان يهتم بهم ولم يكن ليتخلى عنهم أبداً. فكل ما كان ينبغي عليهم أن يفعلوه هو أن يطلبوا الطعام من الله. لكن عوضاً عن أن يفعلوا ذلك، راحوا يشكون ويتذمرون!

الْمَنُّ وَالسَّلْوَى

فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «سَمِعْتُ تَذْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. كَلَّمْتُمْ قَائِلاً: فِي الْعِشْيَةِ نَأْكُلُونَ لَحْماً، وَفِي الصَّبَاحِ نَشْبَعُونَ خُبْزاً، وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ».

فَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّ السَّلْوَى صَعِدَتْ وَغَطَّتِ الْمَحَلَّةَ. وَفِي الصَّبَاحِ كَانَ سَقِيطُ النَّدى حَوْلِي الْمَحَلَّةِ. وَلَمَّا ارْتَفَعَ سَقِيطُ النَّدى إِذَا عَلَيَّ وَجْهَ الْبَرِّيَّةِ شَيْءٌ دَقِيقٌ مِثْلَ قَشُورِ. دَقِيقٌ كَالْجَلِيدِ عَلَيَّ الْأَرْضِ. فَلَمَّا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ؟» أَيْ: «مَا هَذَا؟» لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مَا هُوَ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي أُعْطَاكُمْ الرَّبُّ لِتَأْكُلُوا» (خروج ١٦: ١١-١٥)

بهذه الطريقة، وقرَّ الله لبني إسرائيل الخُبزَ (الْمَنُّ) واللحم (السَّلْوَى: وهو طائر السُّماني) حتَّى دون أن يتعبوا في الحصول عليهما. وفي كل يوم، كان الله يزودهم بالخُبزِ واللحم مع تذكيرهم بأنَّ الله هو الذي يُدبِّر. ولا بُدَّ أنَّ بني إسرائيل شعروا ببعض الحرج لأنهم تذمروا ولم يتقوا بالله. وبهذا، كان الله يُلَقِّن بني إسرائيل درساً آخر.

درس بسيط

كان للخُبزِ قِصْدٌ أعظم من كونه طعاماً حيث قال الله:

«هَا أَنَا أَمْطُرُ لَكُمْ خُبْزاً مِنَ السَّمَاءِ. فَيَخْرُجُ الشَّعْبُ وَيَلْتَقِطُونَ حَاجَةَ الْيَوْمِ بِيَوْمِهَا. لَكِنِّي أَمْتَحِنُهُمْ، أَيْسَلُّونَ فِي نَامُوسِي أَمْ لَا؟» (خروج ١٦: ٤)

قال الله لموسى أن يُخبر الشعب أن لا يجمعوا من الخُبزِ إلا بقدر ما يحتاجونه ليومٍ واحدٍ فقط. وكان هذا أمر واضح وسهل التطبيق.

لِكُنْهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا مُوسَى، بَلْ أَبَى مِنْهُ أَنَّاسٌ إِلَى الصَّبَاحِ، فَتَوَلَّدَ فِيهِ دُودٌ وَأَذَنٌ. فَسَخَطَ عَلَيْهِمْ مُوسَى (خروج ١٦: ٢٠)

كان هذا الدرس سهلاً وبسيطاً ولم يتأذى أي شخص من الشعب. لكنهم تعلّموا من خلاله أنَّ الله يعني تماماً ما يقوله، وأنه ينبغي عليهم أن يتقوا به. فغالباً ما تكون عواقب العصيان وخيمة!

الشكوى والتذمُّر

ثُمَّ ارْتَحَلَ كُلُّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَرِّيَّةِ سِينَ بِحَسَبِ مَرَاكِبِهِمْ عَلَى مُوجِبِ أَمْرِ الرَّبِّ، وَنَزَلُوا فِي رَفِيدِيمَ. وَلَمْ يَكُنْ مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ. فَخَاصَمَ الشَّعْبُ مُوسَى وَقَالُوا: «أَعْلُونَا مَاءً لِنَشْرَبَ ... لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِمَيْتِنَا وَأَوْلَادِنَا وَمَوَاشِينَا بِالْعَطَشِ؟» فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلاً: «مَاذَا أَفْعَلُ بِهَذَا الشَّعْبِ؟ بَعْدَ قَلِيلٍ يَرْجُمُونَنِي».

(خروج ١٧: ١-٤)

من الواضح أنَّ بني إسرائيل لم يتعلّموا درساً من التجربة السابقة. لكن تذرّمهم في هذه المرّة كان بسبب الماء وليس الطعام. ونرى هنا أنَّ بني إسرائيل لم يكونوا خاضعين لمشيئة الله، ولم يكونوا صورة حسنة لشعب الله.

فَقَالَ الرَّبُّ مُوسَى: «مَرُّهُدَامُ الشَّعْبِ، وَخَذْ مَعَكَ مِنْ شُبُوحِ إِسْرَائِيلَ. وَعَصَاكَ ... خُذْهَا فِي يَدِكَ وَادْهَبْ. هَا أَنَا أَقْبَضُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ، فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ». فَفَعَلَ مُوسَى هَكَذَا أَمَامَ عِيُونِ شُبُوحِ إِسْرَائِيلَ (خروج ١٧: ٥-٦)

الماء

هناك بعض اللوحات الفنيّة التي تُمثّل هذه المعجزة حيث يتم تصوير النبي موسى واقفاً بجانب صخرة وهو مُمسك بعصاه في يده، وجدول ماء صغير ينساب من الصخرة على الأرض. لكن في ضوء عطش الشعب، من المؤكّد أنّ الله لم يُخرج من الصخرة جدولاً صغيراً؛ بل أخرج دفقاً هائلاً من الماء حيث يقول الكتاب المقدّس:

شَقَّ الصَّخْرَةَ فَانْفَجَرَتِ الْمِيَاهُ. جَرَّتْ فِي الْيَابِسَةِ نَهْرًا
(خروج ١٠٥: ١٠)

وهكذا، فقد سدّد الله احتياج الشعب مرّةً أخرى رغم أنّهم لم يكونوا يستحقون ذلك. فقد كان بإمكان الله خالقهم ومالكهم أن يُعاقبهم بسبب عدم إيمانهم وعصيانهم. ففي نهاية المطاف، فإنّ للخطيئة عواقبها. رغم ذلك، كان الله صبوراً ولطيفاً معهم رغم عدم استحقاقهم لنعمته. وهكذا هو حال الله دائماً؛ فرغم أنّ الإنسان الخاطئ لا يستحقّ محبة الله ونعمته، إلّا أنّ الله يعتني به رغم خطاياها.

٢ . الوصايا العشر

قال الرب إنه ينبغي على بني إسرائيل أن يكونوا نموذجاً وقُدوةً حسنةً لبقيّة الشعوب عن علاقة الله بالإنسان، وعن علاقة الإنسان بالله. لكنهم كانوا بحاجة لتعلّم الكثير عن الله. وهكذا، فقد كان الله يُعلن عن ذاته لهم بصورة دائمة، وكان الإعلان الكبير عن نفسه على وشك البدء:

فِي الشَّهْرِ الثَّلَاثِ بَعْدَ خُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جَاءُوا إِلَى بَرِيَّةِ سِينَاءَ ... هُنَاكَ نَزَلَ إِسْرَائِيلُ مَقَابِلَ الْجَبَلِ. وَأَمَّا مُوسَى فَصَعِدَ إِلَى اللَّهِ. فَتَنَادَاهُ الرَّبُّ مِنَ الْجَبَلِ قَائِلاً: هَكَذَا ... تُخَبِّرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ. فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لَصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الْأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً كَهَنَةً وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هَذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَكَلَّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
(خروج ١٩: ١-٦)

إذا ... سوف

بعبارة أخرى، كان الله يقول لبني إسرائيل: «إذا أطعتموني، سوف أقبلكم وتكونون شهادةً لي أمام جميع الأمم الأخرى». وهكذا، كان الشرط الوحيد هو: «إذا أطعتموني، سوف ...».

كان سجل بني إسرائيل سيئاً حتى ذلك الحين. فقد جمعوا خبزاً أكثر من حاجتهم رغم أنّ الله أخبرهم ألا يفعلوا ذلك. كما أنهم تدمروا أكثر ممّا وثقوا في الله. وكان واقع حالهم يقول: «يا رب، لقد أخفقنا في إطاعة كلمتك. أنت قُدوس؛ أمّا نحن فخطاة. وإن كنت ستنظر إلينا كأشخاص مُقدّسين، وإن كنت ستقبلنا على أساس طاعتنا لك، فتحن في ورطة حقيقية!».

ما من مشكلة!

لكن حينما قام موسى بجمع الشعب وسألهم عن رأيهم بما قاله الله، ردَّ الشعب بحماس قائلين:

فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ مَعًا وَقَالُوا: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعٌ». فَرَدَّ مُوسَى كَلَامَ الشَّعْبِ إِلَى الرَّبِّ
(خروج ١٩: ٨)

صاح الشعب معاً بصوت واحد «نعم يا رب، سوف نفع كل ما تطلبه منا. وإن أردتنا أن نكون كهنة راعين فسوف نكون كذلك. وإن أردتنا أن نكون قديسين فما من مشكلة في ذلك أيضاً. فسوف نكون أفضل أمة مقدسة رأتها عينك. أجل، يمكننا أن نكون كذلك!» ربما كان في كلامهم ذاك بعض المبالغة. ففي حقيقة الأمر أنهم لم يكونوا آنذاك قد فهموا المعنى الحقيقي للقداسة أو البرِّ. لذلك، كان لا بُدَّ أن يشرح الله لهم معنى هذه الأشياء بالتفصيل.

وسائل الإيضاح البصريَّة

بدأ الدرس ببعض وسائل الإيضاح البصريَّة فقال الربُّ لموسى: «اذْهَبْ إِلَى الشَّعْبِ وَقَدِّسْهُمْ يَوْمَ غَدًا، وَلْيَغْسِلُوا ثِيَابَهُمْ، وَيَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِيَوْمِ الثَّالِثِ. لِأَنَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَنْزِلُ الرَّبُّ أَمَامَ عَيْنَيْ جَمِيعِ الشَّعْبِ عَلَى جَبَلِ سَيْنَاءَ» (خروج ١١: ١٠-١٩)

قال الله لموسى أنه يجب عليهم أن يتقدَّسوا؛ أي أن يكرِّسوا أنفسهم له. وهكذا، فقد أخبرهم الله أنه ينبغي عليهم أن يغسلوا ثيابهم. وقد ساعدتهم وسيلة الإيضاح البصريَّة هذه على أن يدركوا حاجتهم للابتعاد عن الخطيئة. رغم ذلك، لم يكن هذا الطقس يُزيل الخطيئة. وبالتالي، فإنَّ الاغتسال من الخارج لا يجعل المرء طاهراً من الداخل. كما أنَّ الأيدي النظيفة لا تخلق قلباً نقياً.

وهكذا، رغم أنَّ غسل بني إسرائيل لملابسهم كان علامةً خارجيَّةً على طهارتهم ونقاوتهم أمام الله، إلاَّ أنَّ الاغتسال في حدِّ ذاته لم يُطهِّرهم من الخطيئة. فكل ما في الأمر هو أنَّ هذه الممارسات أو الطقوس كانت تساعد الشعب على فهم أنَّ الربُّ قدوس وبار، وأنه لا يُمكن الاقتراب منه إلاَّ بالطريقة التي وضعها هو.

لكنَّ الله لم يكن قد انتهى من هذه الوسيلة البصريَّة بعد: «وَتَقِيمُ لِلشَّعْبِ حُدُودًا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَائِلًا: احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَضَعُوا إِلَى الْجَبَلِ أَوْ تَمَسُّوا طَرَفَهُ. كُلُّ مَنْ يَمَسُّ الْجَبَلَ يَمُوتُ مَيِّتًا» (خروج ١٩: ١٢)

كانت هذه الحدود هي صورة بصريَّة (أو رمز) للانفصال القائم بين الله والإنسان بسبب الخطيئة. وبهذا، فقد حذَّر الله الإنسان من خطورة الاقتراب منه لأنه قدوس، ولأنَّه لا يُمكن للإنسان الخاطئ أن يعيش في محضره. وقد كان هذا تذكير بأنَّ الموت هو عاقبة الخطيئة:

«وَحَدَّثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ لَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ أَنَّهُ صَارَتْ رُعُودٌ وَبُرُوقٌ وَسَحَابٌ ثَقِيلٌ عَلَى الْجَبَلِ، وَصَوْتُ بوقٍ شَدِيدٍ جَدًّا. فَارْتَعَدَ كُلُّ الشَّعْبِ الَّذِي فِي المَحَلَّةِ. وَأَخْرَجَ مُوسَى الشَّعْبَ مِنَ المَحَلَّةِ بِمَلاَقَاةِ الله، فَوَقَفُوا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ. وَكَانَ جَبَلُ سَيْنَاءَ كُلَّهُ يَدُخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كدُخَانِ الأتونِ، ... وَمُوسَى يَتَكَلَّمُ وَاللهُ يَجِيبُهُ بِصَوْتٍ» (خروج ١٩: ١٦-١٩)

كانت وسائل الإيضاح المرثية الأخيرة التي استخدمها الله مُؤثِّرة ومُخيفة حيث أنه استخدم الرعد، والبرق، والسحاب الكثيف، وصوت بوق قوي جداً، ودُخان، ونار. وعندما، أصيب الشعب كله بحالة صدمة! فيما أنَّ الإنسان خاطئ، فقد كان من الطبيعي أن يرتد ويرتجف في محضر الله القدوس. وهكذا، فقد كان الله يوصل أفكاره للناس بهذه الوسائل المرثية.

كان الإنسان على وشك أن يكتسب المزيد من المعرفة والفهم لطبيعة الله. فقد كان الله مُزمعاً على تحديد معنى كلمة «مُقدَّس» وكلمة «بار». فكأنَّ الله يقول لهم: «لقد رأيتم بأب أعينكم أنني إله يهتم بكم. والآن، إذا أطعتم الوصايا العشر التي سأعطيكُم إياها، سوف تكونون لي شعباً مُقدَّساً – أي شعباً يتمتَّع بعلاقة خاصة معي». ^٢ في جنة عدن، أعطى الله لأدم وصية واحدة فقط؛ لكنَّ آدم أخفق في إطاعتها. والآن، كان الله على وشك إعطاء الإنسان عشر وصايا. وهكذا، فقد تكلم الله:

الوصية الأولى

«أَنَا الرَّبُّ إِلَهَكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي»

(خروج ٢٠: ٢٠)

أوصى الله الإنسان أن لا يعبد إلهاً آخر. وقد كان السبب في ذلك واضحاً تماماً.
«أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرَ. لَا إِلَهَ سِوَايَ...» (إشعيا ٤٥: ٥)

لم يكن هناك سوى إله واحد حقيقي يستحق العبادة والإكرام. ولم يكن الأمر يتعلَّق بالثقة بأحد الآلهة، بل بالثقة بالله الحي الحقيقي. فينبغي على الأشخاص الذين يريدون أن يكونوا أبراراً أن يعبدوا الله الخالق الحقيقي الذي قطع وعوده لإبراهيم واسحق ويعقوب.

غالباً ما يشعر الناس بالارتياح لأنهم التزموا بهذه الوصية ولم يعبدوا إلهاً وثياً. لكنَّ التطبيق الفعلي لهذه الوصية هو كالتالي: إذا كان هناك شخص أو شيء أهم لديك من الله – سواء كان ذلك عائلة، أو أصدقاء، أو مُرشدين روحيين، أو مكانة، أو عمل، أو مال – فاعلم أنك قد خرقت هذه الوصية.

الوصية الثانية

«لَا تَصْنَعْ لَكَ تَمَثَالاً مَنحوتاً، وَلَا صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقَ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتِ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. لَا تَسْجُدْ لَهُمْ وَلَا تَعْبُدُهُمْ»

(خروج ٢٠: ٤، ٥)

«...»

تقول لنا الوصية الأولى إنه ينبغي علينا أن لا نعبد إلهاً آخر غير الله الحقيقي. ثم تأتي الوصية الثانية لتقول لنا أن لا نعبد صورة أو تمثال أي إله سواء كان حقيقياً أو زائفاً. وحتى أن الله لا يُريدنا أن ننحني لأية صور أو أيقونات أو تماثيل تُمثله هو نفسه. فحيث أن الله روح، فلا حاجة للإنسان أن يصنع صورة محسوسة له. فما من صورة أو تمثال من صنَّع الإنسان تستحق أن تُعبد لأنَّ الذي يستحق العبادة هو الله الحي الحقيقي الواحد فقط.

«أَنَا الرَّبُّ هَذَا اسْمِي، وَمَجْدِي لَا أُعْطِيهِ لِآخَرَ، وَلَا تَسْبِيحِي لِلْمُنْحَوَاتِ» (إشعيا ٤٢: ٨)

وهكذا، فقد وضع الله شرطاً آخر للقداسة ألا وهو أن لا نعبد أي صورة أو تمثال له أو لغيره.

الوصية الثالثة

«لَا تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِكَ بَاطِلاً، لِأَنَّ الرَّبَّ لَا يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً.»

(خروج ٢٠: ٧)



يقول لنا الله في هذه الوصية إنه ينبغي علينا أن نحترمه ونوقره دوماً. فيما أنه هو الله صاحب السيادة والسلطان، فيجب عدم ذكر اسمه باستخفاف. وبما أنه هو ديان كل الأرض، فهو يستحق كل إجلال وإكرام. وبما أنه ملك الملوك ورب الأرباب، فهو يستحق كل سُجود.

إذا سَبَقَ لك أن استعملت اسم الله للحلف أو القَسَم فاعلم أنك قد خَرَفْتَ هذه الوصية. وحتى إن قُلْتَ: "سوف أفعل كذا وكذا إن شاء الله" دون أن تعني حقاً أنه ستقوم بذلك الشيء، فهذا يعني أنك لم تحترم اسم الله وأنت خرفت هذه الوصية. وإن حَلَفْتَ قائلاً: "الله شاهد أنني لم أفعل كذا وكذا" في حين أنك تعلم أنك مُذنب، فهذا يعني أنك أسأت استخدام اسم الله أيضاً.

الوصية الرابعة

«أذْكَرُ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا أَيُّومُ

(خروج ٢٠: ٨-١٠)

السَّابِعِ فَفِيهِ سَبْتُ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. لَا تَصْنَعُ عَمَلاً مَا ...»



قال الله لبني إسرائيل إنه ينبغي عليهم أن يُقدِّسوا اليوم السابع (أي يوم السبت) كيوم راحة) وكان هذا اليوم الخاص يُبين لبقية العالم أن الله يُقيم علاقة خاصة معهم حيث يقول الكتاب المقدس:

«وَأَنْتِ تَكَلِّمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: سُبُّوتِي تَحْفَظُونَهَا، لِأَنَّهُ عَلامَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فِي أَجْيَالِكُمْ لِتَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي يُقَدِّسُكُمْ.»

(خروج ٣١: ١٣)

لقد أراد الله من بني إسرائيل أن يعرفوا أن القداسة تتطلب منهم أن يحفظوا يوم السبت كعلامة خاصة على تفردهم وتميزهم.

الوصية الخامسة

(خروج ٢٠: ١٢)

«أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ ...»



في هذه الوصية، قال الله إنه ينبغي على الأبناء أن يُكرموا آباءهم وأمهاتهم. فينبغي أن تكون العائلة مكاناً للسلام وليس للخصام. ويجب على الأبناء أن يحترموا ويطيعوا آباءهم وأمهاتهم. وبالمقابل، يجب على الآباء والأمهات أيضاً أن يسعوا لما فيه خير أبنائهم وصالحهم.

يقول الله لجميع الأبناء أن القداسة تتطلب وجود علاقة احترام وإكرام بينهم وبين آباؤهم وأمهاتهم. فقد أراد الله أن تكون العائلة مكاناً للنظام والاحترام وليس مكاناً للفضى والغضب.

من الأمور التي تدل على عدم احترام الأبناء لآبائهم وأمهاتهم: الرد عليهم بوقاحة، وتجاهلهم، ومُجادلتهم، والتجهُم في وجوههم، ومعاملتهم بقسوة، وانتقادهم.

الوصية السادسة

«لَا تَقْتُلْ»



(خروج ٢٠: ١٣)

الله هو مُعطي الحياة للإنسان. لذلك، لا يحق لأي شخص أن يحرم شخصاً آخر من حياته. لكن الله كان يقصد ما هو أكثر من القتل الفعلي. فقد كان الله يستهدف النوايا الكامنة وراء الفعل نفسه حيث يقول لنا الكتاب المقدس:

لأن كلمة الله... مميّزة أفكار القلب ونيّاته. وليست خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا
(عبرانيين ٤: ١٣، ١٢)

وحيث أن الله ينظر إلى القلب، فهو يرى القتل بمنظور أشمل مما نراه نحن. فالله يعتبر بعض أنواع الغضب قتلًا:

قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم... ومن قال: يا أحمق، يكون مستوجب نار جهنم
(متى ٥: ٢٢، ٢١)

وعليه، إن أراد المرء أن يتقيد بمعايير الله للبر والقداسة، فينبغي عليه أن لا يفقد أعصابه أو أن يغضب بلا مبرر معقول في نظر الله.

الوصية السابعة

«لَا تَزْنِ»



(خروج ٢٠: ١٤)

يقول الله إن الوقت الوحيد الذي يمكن للمرء أن يمارس فيه الجنس هو بعد الزواج. وأن الشخص الوحيد الذي يمكن للمرء أن يمارس معه الجنس هو شريك الحياة الزوجية (الزوج والزوجة)

لكن الله لا يتوقف عند هذا الحد لأنه ينظر إلى القلوب أيضاً ويعرف نوايا الإنسان الشريرة. قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزني. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها، فقد زنى بها في قلبه،
(متى ٥: ٢٧، ٢٨)

وهذا يعني أنك إذا نظرت بشهوة إلى امرأة ليست زوجتك، فقد خرقت هذه الوصية. لذلك، إذا أردت أن تكون باراً في نظر الله فيجب عليك أن تراعي الطهارة والقداسة في أفكارك وتصرفاتك.

الوصية الثامنة «لَا تَسْرِقْ»

(خو ١٥:٢٠)

لا يُريد الله من أي شخص أن يأخذ ما ليس له. فالله هو الوحيد الذي يُعطي كل شخص حق حيازة الممتلكات. لذلك فإن السرقة هي عصيان صريح لله. والشخص الذي يسرق لا يمكن أن يكون باراً.



السرقة تشمل الغش سواء في الامتحانات أو في دفع الضرائب.

الوصية التاسعة «لَا تَشْهَدُ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةً زُورًا»

(خو ٢٠:٢٠)

يجب على الإنسان أن يكون صادقاً دوماً لأن الله لا يحب الكذب والخداع. وقد رأينا سابقاً أن الشيطان كاذب ومُخادع بطبيعته. أما الله فهو على النقيض تماماً لأن الصدق هو من صفات الله الجوهريّة؛ فهو:

«... اللهُ الْمُنْرَهُ عَنِ الْكُذْبِ...»

(تيطس ١:٢)

لذلك، حينما يقول لنا الله شيئاً ما، يمكننا أن نثق به تماماً لأنه:

«... لَا يُمَكِّنُ أَنَّ اللهُ يَكْذِبُ...»

(عبرانيين ٦:١٨)

وحيث أن الله صادق تماماً فهو ينظر إلى أي كذب على أنه إهانة لشخصه. فالشيطان هو الكذاب وأبو الكذاب. وكل من يكذب إنما يتشبه بالشيطان. ويجب أن نعلم أن النميّة، والاتهامات الباطلة، والافتراء هي خطايا بحسب تعريف هذه الوصية.



الوصية العاشرة

«لَا تَشْتَهَ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لَا تَشْتَهَ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلَا عَبْدَهُ، وَلَا أَمَتَهُ، وَلَا ثَوْرَهُ، وَلَا حِمَارَهُ، وَلَا شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ»

(خو ٢٠:١٧)

يجب على الإنسان أن يحرص كل الحرص على عدم اشتهاؤ ممتلكات الآخرين، أو قدراتهم، أو مظاهرهم، أو أي شيء يخصهم.



نحن مُعرضون لخطر خرق هذه الوصية كثيراً في مجتمعاتنا. فمثل هذه الأمور مآكرة للغاية لا سيما وأننا نسعى دوماً للحفاظ على نفس المستوى المعيشي الذي يعيش فيه جيراننا. وكثيراً ما يقول لنا بعض الأشخاص إننا نستحق الحصول على مثل هذه الأشياء. لكن في حقيقة الأمر أن اشتهاؤ ممتلكات الآخرين خطيئة في نظر الله.

قال الشيطان: «سأكون مثل الله العليّ». وبهذا، فقد انتهى الشيطان مكانة الله. ويجب أن

نعلم أنّ اشتهاؤاً مُمتلكات الغير، والجشع، والغيرة، والحسد هي أمور غير مقبولة مُطلقاً عند الله لأنها خطايا، ولأنها الطريق الذي سلكه إبليس منذ القديم.

لقد أصبحت أعرف الآن

بهذه الوصية العاشرة والأخيرة، ختم الله الوصايا التي أعطها لشعبه القديم. وقد كتبها لهم على حجرين - ربّما لكي يؤكد لهم أنّ شريعته لا تتغير. فمع مرور الوقت، قد يقنع المرء نفسه بأنّه لا بأس في



الغش؛ لكنّ شريعة الله تعود لتذكره بأنّ الغش ما زال خطيئة.

وهكذا، فقد عرف الإنسان ما هي الأشياء التي يعتبرها الله خطيئة لأنّ شريعة الله كشفت ذلك:

فَمَاذَا نَقُولُ؟ هَلِ النَّامُوسُ خَطِيئَةٌ؟ حَاشَا! بَلْ لَمْ أَعْرِفِ الْخَطِيئَةَ إِلَّا بِالنَّامُوسِ. فَإِنِّي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْلَمْ يُقَلِّ النَّامُوسُ: «لَا تَشْتَه» (رومية ٧: ٧)

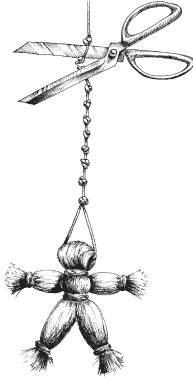
رغم ذلك، كانت هناك بعض الأسئلة التي تحتاج إلى إجابات مثل: إلى أيّ حدّ سيكون الله صارماً في تطبيق هذه الوصايا على الناس؟ وهل سيكون مقبولاً لدى الله أن يخرق الناس هذه الوصايا بين الحين والآخر؟ وما الذي كان يتوقّعه الله من البشر؟

٣ . المحكمه

يعتقد البعض أنّ الوصايا العشر غامضة إلا إذا عرفنا كيف ومتى نطبّقها. فهل هناك أيّ استثناءات لهذه الوصايا؟ ولنفترض أنّ شخصاً ما قد زنى في الماضي، هل سيسجّل الله هذه الخطيئة ضده إلى الأبد؟ وما الذي يتوقّعه الله منّا؟

في البداية، يقول الله لنا إنه لكي نكون مقبولين لديه، يجب علينا أن نطبق الوصايا العشر جميعها دون استثناء.

(غلاطية ٥: ٣)



يُمكن تشبيهه خرق شريعة الله بقطع حبل يحتوي على عشر عُقد. فيمكن أن تقطع عُقدة واحدة فقط لكي ينقطع الحبل بأكمله. وبالطريقة نفسها، إذا قمت بخرق وصية واحدة فقط من وصايا الله العشر، فسوف تكون مُذنِباً بخرق معيار الله للصواب والخطأ.

«لَكِنَّ أَشْهَدُ أَيْضًا لِكُلِّ إِنْسَانٍ ... أَنَّهُ مُلْتَزِمٌ أَنْ يَعْْمَلَ بِكُلِّ النَّامُوسِ»
وبالتالي، لا يمكننا أن نختار أربعاً من هذه الوصايا ونترك الباقي. فالله واضح جداً ومُحدِّد للغاية. فهو يأمرنا بإطاعة جميع الوصايا العشر. ولا يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل إنه يقول لنا:

... لِأَنَّ مَنْ خَطَأَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَتَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مَجْرِمًا فِي الْكُلِّ
(يعقوب ٢: ١٠)

وهكذا، إذا خالفنا وصية واحدة فقط - ولو لمرة واحدة - فكأننا بذلك قد خالفنا جميع الوصايا. وما لم نكن كاملين، فلا يمكن لله أن يقبلنا في محضره.

إنَّ الله كامل القداسة؛ لذلك فهو لا يقبل في محضره إلاَّ الأشخاص الكاملين في برِّهم. وبالتالي، يجب أن يكون برُّ الإنسان مُعادلاً لبرِّ الله وإلا فلن يكون بالإمكان استعادة العلاقة المنقطعة بينهما.

ويجب علينا أن نُرَاعِي الوصايا العشر وغيرها من نواهي الرب لأنَّ الله يُحاسبنا على كل خطية، بما في ذلك الخطايا التي نرتكبها سهواً:

«إِنَّ أَخْطَأَ أَحَدٌ سَهْوًا وَارْتَكَبَ إِحْدَى نَوَاهِي الرَّبِّ الَّتِي يَنْبَغِي أَلَّا يَرْتَكِبَهَا، يَكُونُ مُذْنِبًا وَمَسْئُولًا عَنْ إِثْمِهِ»
(لاويين ٥: ١٧)

ذات مرة، كُنتُ أعلم هذا الموضوع لخطيبين شابين. وحينما وصلت إلى هذه النقطة في الدرس، ضرب الشاب بقبضته على الطاولة وأقسم. (وعندها، قالت له خطيبته إنه قد خالف إحدى وصايا الله لأنه أساء استخدام اسم الله. وفي الحقيقة أن توقيت خطيبته كان سيئاً) وعلى أي حال فقد قال ذلك الشاب: «الله ليس عادلاً! فإذا كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لكي أصبح مقبولاً لدى الله، فهو يُعقِّد الأمور ويجعلها مُستحيلة! فلا يمكنني أن أطبق هذه الوصايا دون أن أخطئ على الإطلاق!» وقد كان إحباطه واضحاً تماماً!

معرفة الخطية

كان الله يعرف تماماً أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يطبق جميع هذه الوصايا دون أن يُخطئ. وبالتالي، لم يكن هذا الأمر مفاجئاً لله على الإطلاق. وقد كان قصد الله واضحاً من إعطاء الوصايا العشر:

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ النَّامُوسُ فَهُوَ يَكَلِّمُ بِهِ الَّذِينَ فِي النَّامُوسِ، لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فِمْ، وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللَّهِ

(رومية ٢: ١٩)

تقول الآية أعلاه شيئين اثنين:

١. إنَّ الناموس موضوع لسُدِّ أفواه الأشخاص الذين يقولون إنَّ حياتهم جيِّدة بما يكفي لقبولهم لدى الله. وفي الحقيقة أن كل من يدرس هذه الوصايا يدرك أنَّ أمثال هؤلاء مُخطئون في تقديرهم لأنفسهم.

٢. تُبيِّن لنا الوصايا العشر أننا مُذنبين بالفعل بخرق ناموس الله. ففي البداية، كان الإنسان صديقاً لله، وخالياً من أي شرٍّ. لكن حينما عصى آدم وحواء أوامر الله، قام الله بوضع رداء الصداقة جانباً وارتدى رداء القاضي. وهكذا، عوضاً عن أن يكون الله صديقاً للإنسان، أصبح قاضياً يستدعي الإنسان للمثول أمامه في قاعة المحكمة دون أن يكون هناك مُحامي دفاع. فما من مُحام يستطيع الدفاع عن الإنسان الخاطئ أمام الله مهما كان هذا المحامي بارعاً وذكياً. كما أنه لن تكون هناك هيئة مُحلفين، ولا رشوة لأنَّ القاضي الكامل والعادل قد نطقَ بالحُكم بعد أن وجد الإنسان مُذنباً بخرق وصايا الله.

لأنَّه بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلِّ ذِي جَسَدٍ لَا يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لِأَنَّ النَّامُوسَ مَعْرِفَةُ الْخَطِيئَةِ (رومية ٣: ٢٠)

إنَّ القصد من الوصايا العشر هو أن ندرك أننا خُطاة. فهي تُبيِّن لنا قداسة الله من جهة، وطبيعتنا الخاطئة من جهة أخرى. ويمكن القول أيضاً إنَّ الوصايا العشر بمثابة معيار بسيط للصواب والخطأ؛ فهي مثل ميزان الحرارة الذي يُبيِّن لنا أننا مَرَضَى. رغم ذلك فهي (الوصايا) عاجزة تماماً عن تقديم العلاج الشافي لنا.

مرآة

من ناحية أخرى فإنَّ الوصايا العشر هي أشبه بمرآة تعكس وجهاً قذراً. فإن كنت بمفردك فلا يمكنك أن تعرف ما إذا كان وجهك نظيفاً أم قذراً. لكن إن رآك شخص ما فقد يقول لك: «هناك بعض الأوساخ على وجهك». وقد تُتكر ذلك وتقول: «لا، إنَّ وجهي ليس مُتسخاً. أنا لا أرى شيئاً». وقد تعتقد ذلك حقاً. لكن إن نظرت في مرآة، فسوف ترى على الفور أنَّ وجهك مُتسخ بالفعل؛ وعندها لن يكون بمقدورك أن تُتكر تلك الحقيقة. وبعبارة أخرى، سوف تصمَّت وتُسكَّت لأنك أدركت أنَّ وجهك مُتسخ.

ويمكن تطبيق الشيء نفسه على الخطيئة. فنحن لم نُكن نعرف ما هي الخطيئة إلا حينما أعطانا الله الناموس (أو الوصايا العشر) فكما أنَّ المرآة تكشف الأوساخ الموجودة على وجوهنا، فإنَّ الوصايا العشر تكشف لنا عن طبيعتنا الخاطئة.

لم يُعطينا الله الوصايا العشر كقوانين ينبغي علينا تطبيقها لنتمتع بعلاقة سليمة مع الله. فلم يكن هذا هو قصد الناموس. فإن حاولنا أن نُصبح أبراراً من خلال تطبيقنا للناموس فسوف يكون هذا شبيهاً بمحاولة تنظيف الأوساخ التي على وجوهنا عن طريق تنظيف زجاج المرآة! لكن المرايا مصنوعة لكي تعكس صورتنا فقط، وليس لكي تُنظف الأوساخ عنها. وفي حقيقة الأمر أننا إن حاولنا تنظيف وجوهنا في المرآة فقد نتسبب في أساخ المرآة أيضاً ممَّا يُقلِّل من قدرتها على عكس الصورة بوضوح. لذلك، فإنَّ الأشخاص الذين يحاولون إرضاء الله عن طريق تطبيق الوصايا العشر عادةً ما ينتهون إلى تعديل هذه الوصايا أو تقلييلها لكي لا يظهروا بصورة سيئة للغاية.

وُجْهَةٌ نَظَرُ اللَّهِ

هناك طريقة أخرى للنظر إلى الأمر. هل تذكر كيف عقدنا مقارنة بين نظرتنا لذلك الجرد المتعفن وبين نظرة الله للخطيئة؟ إن محاولة إرضاء الله عن طريق تطبيق الوصايا العشر هو أشبه ما يكون برش بعض العطر على ذلك الجرد المتعفن. وكما نعرف جميعنا فإن رش بعض العطر على جرد ميت لن يجعله أكثر قبولاً لدينا. فسوف يبقى الجرد كريهاً وبغيضاً في نظرنا. كذلك، فإن إطاعة الوصايا العشر لا تجعلنا مقبولين أكثر لدى الله؛ بل سنبقى حُطاةً في نظره.

و هذا يُرجعنا إلى سبب إعطاء الوصايا العشر. فقد أعطى الله الناموس (أو الوصايا العشر):

«... لِكَيْ تُصَيِّرَ الْخَطِيئَةَ خَاطِئَةً جِدًّا بِالْوَصِيَّةِ» (رومية ٧: ١٣)

فإن الله يريدنا أن نرى جميع الخطايا كما يراها هو؛ أي أن نرى بأن الخطيئة خاطئة جداً، ومدمرة، وتُهين مجد الله، وبغيضة، ومُخيفة، وشريرة، وقذرة. فالله يريدنا أن نستوعب أن قداسته وطهارته أكبر بكثير جداً من أي برٍّ يمكننا تحقيقه بمفردنا. كما أنه يريدنا أن ندرك أننا لا يمكننا أن نقترّب من قداسته حتى ونحن في أفضل أحوالنا.

الهُوَّةُ السَّحِيقَةُ

رغم هذا كله، ما زال بإمكان بعض الأشخاص أن يُقنعوا أنفسهم بأن الله يُحبهم أكثر من الآخرين لأنهم يعتقدون أنهم أفضل من سواهم. لكن حينما أعطى الله الوصايا العشر، كان يهدف من ذلك أن يدرك جميع الناس الحقيقة التالية:

«هَانِدًا بِالْإِنِّمِ صُورَتِ، وَبِالْخَطِيئَةِ حَبَلَتْ بِي أُمِّي» (المزمور ٥١: ٥)

وهكذا، لم يُعد بإمكان المرء أن يعرف حالته الخاطئة فحسب، بل أصبح بمقدوره أن يحصل على لُحمة خاطفة عن كمال الله. فقداسة الله هي أسمى من أن يصل إليها الإنسان. وقد كانت الهُوَّة التي سببتها الخطيئة سحيقَةً جداً بصورة لم يتوقَّعها الإنسان نفسه. وحيث أنه ما من شخصٍ أمكنه تطبيق الناموس بأكمله، فقد عجز هذا الناموس عن بناء جسرٍ فوق هذه الهُوَّة السحيقَةَ.

فَتْنَانِ اثْنَتَانِ

ما مِنْ شَكٍّ أَنْ رَدُّ فِعْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُولَى لِلْوَصَايَا الْعَشْرِ يَعْكُسُ تَكْبِيرَ الْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ فِي وَقْتِنَا الْحَاضِرِ. فالكتاب المقدس يقول إن جميع بني إسرائيل ارتعدوا من شدة الخوف؛ لكن من المرجح أن الغالبية العظمى منهم خافوا من البرق والرعد فقط. وهكذا، فقد كانوا مشغولين بتلك الأمور الخارجية التي تدل على عظمة الله وقوته؛ لكنهم لم يلتفتوا إلى مغزى الوصايا العشر. بل في الحقيقة أنهم شعروا بأنهم سيتمكنون من تطبيق هذه الوصايا بكل سهولة. وهذا هو حال الكثيرين في وقتنا الحاضر أيضاً. فهم يُركزون على إطاعة هذه الوصايا ويخفون في فهم المغزى الحقيقي منها.

من ناحية أخرى، كانت هناك فئة أخرى من بني إسرائيل فهموا تماماً قداسة الله. وهكذا،

فقد عرفوا ما الذي يعنيه الله بقوله: البرّ يعني عدم وجود أي خطيئة. وقد خافوا هم أيضاً؛ لكن لسبب مختلف عن الفئة الأولى. فقد خافوا لأنهم عرفوا أنهم لن يتمكنوا من تطبيق هذه الوصايا بصورة كاملة تماماً.

ومهما كان السبب فإن الكتاب المقدس يقول إن بني إسرائيل خافوا وارتعبوا:
 وَقَالُوا لِمُوسَى: «تَكَلَّمَ أَنْتَ مَعَنَا فَتَسْمَعْ. وَلَا يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللَّهُ لِئَلَّا نَمُوتَ»
 (خروج ٢٠: ١٩)
 وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأَعْطِيكَ لَوْحِي الْحِجَارَةَ وَالشَّرِيعَةَ
 وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتُعَلِّمَهُمْ»
 (خروج ٢٤: ١٢)

أصبحت الوصايا العشر سارية المفعول منذ ذلك الوقت، وكان الله قد بدأ بحاسبة بني إسرائيل على مراعاتها والتقيّد بها باعتبارها المعيار الأخلاقي الذي يحتكمون إليه. رغم ذلك، عرف الأشخاص الصادقون مع أنفسهم أنه ينبغي عليهم أن يأتوا إلى الله بطريقة أخرى إن أرادوا أن يكونوا مَرْضِيّين أمامه!

الاقتراحات العشرة؟

تُسمّى الوصايا العشر أحياناً «الشرعية الأدبية» أو «القانون الأخلاقي» لأنها تُعنى بالسلوكيات الأخلاقية والأدبية.

وَرُغم أن الشرعية الأدبية لا تستطيع أن تُعيد علاقتنا المقطوعة بالله، إلا أن هذا لا يعني أنها عديمة النفع. فكما أن القوانين الطبيعية تُنظّم الكون الذي نعيش فيه، فإن القوانين الأخلاقية تُنظّم الناس.

لقد رفضت الكثير من البلدان معايير السلوك الواردة في الكتاب المقدس وجازفت بالعيش في مجتمعات مُحايدة أخلاقياً. وفي الحقيقة أنه لا يوجد مجتمع مُحايد أخلاقياً، ولم يسبق أن كانت هناك حضارة مُحايدة أخلاقياً أيضاً. وفي الواقع أن عدم اتخاذ موقف هو موقف في حدّ ذاته.

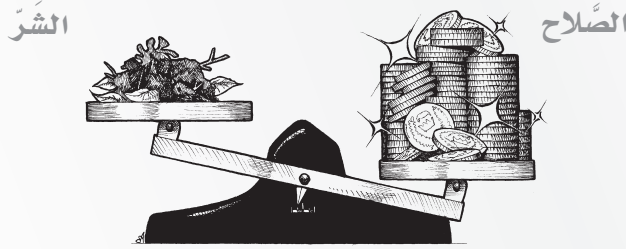
أدى رفض الأمور الحتمية الواردة في الكتاب المقدس إلى عدم الاكتراث بالخطيئة. كما أن الأجيال اعتادت شيئاً فشيئاً على التعايش مع الخطيئة. لكن الكتاب المقدس يُعلّمنا أن هذا الأمر سيؤدي إلى الفوضى والدمار في نهاية المطاف.

مَنْ أَيُّ نَوْعٍ أَنْتَ؟

يُقَرَّرُ غالبية الناس بأنهم خُطَاة. رغم ذلك، فإنَّ عدداً قليلاً من هؤلاء يعترفون بأنهم خُطَاة لا حول لهم ولا قُوَّة. والفرق بين الفئتين كبير للغاية.

- يعتقد الخُطَاة أنه يوجد شيء يمكنهم فعله لكي يُصبحوا مقبولين لدى الله. وربما يظن هؤلاء أنَّ الله يريد منهم أن يطبِّقوا الوصايا العشر. أو لعلهم يعتقدون أنَّ الذهاب إلى دُور العبادة، والصلاة المنتظمة، والصوم، والحج، والصدقة، والإحسان إلى الجيران سيجعلهم مقبولين لدى الله.

إنَّ القول بأنه إذا زادت حَسَنَات المرء على سيئاته فسوف يُصبح جديراً بقبول الله له هو قول غريب تماماً عن تعاليم الكتاب المقدس. فرغم أنَّ فعل الخير يستحق المديح والثناء، إلا أنَّ الكتاب المقدس يُعلِّمنا بأنَّ جميع هذه الأعمال لا يُمكنها أن تُصلح العلاقة المبتورة بيننا وبين الله. فهناك مُشكلة خطيرة لا يمكننا التخلص منها ألا وهي «حالة الخطيئة».



فكرة ليست موجودة في كلمة الله

- من ناحية أخرى، فإنَّ الخاطئ الذي لا حول له ولا قُوَّة يعرف تماماً أنه ما من شيء يمكنه القيام به لكي يُصبح مقبولاً لدى الله. فهو لا يستطيع أن يتخلَّص من حالة الخطيئة التي تُفسد حياته. لهذا، فإنَّ الكتاب المقدس يقول بأننا عديمي

الحيلة:

كَلَّمْنَا أَصْبَحْنَا كَنَجَسٍ، وَأَضَحَّتْ جَمِيعُ أَعْمَالِ بَرِّنَا كَنُوبٍ قَدِيرٍ، فَذَلَّلْنَا كَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ وَعَبَّئَتْ بِنَا أَنَامُماً كَالرِّيحِ.

(إشعياء ٦٤: ٦ - التفسيرية)

وهكذا، يبقى صلاحنا بعيداً كل البعد عن قداسة الله. وللتشبيه فقط، يمكننا القول بأنَّ كل أعمال البرِّ التي نقوم بها ليست سوى جردان قُدرة. وكما أنَّ الجرد الميِّت بغيبض في نظرنا، فإنَّ الخطيئة بغيبضة جداً في نظر الله الكلِّي القداسة.

